

نظرية التلقي وعلاقتها بالأنظمة المعرفية

قدور إبراهيم محمد

جامعة وهران-الجزائر

kadbramoh@hotmail.fr

Abstract: *The openness to Western culture has resulted in a number of critical approaches, in the form of psychological, social, and structural or formative approaches. While the reception approach is based on the reader during his interaction with the literary text in order to interpret it and create an imagined image of its meaning. The vision of this theory revolted against the external approaches because it focused a lot on the realistic reference, such as the Marxist theory, dialectical realism, or the biographical curricula that paid much attention to the author, his life and his historical circumstances, and the traditional critical curricula that focused on the meaning and hunted it from the text as part of knowledge and absolute truth. And the structural approaches that focused on the closed text and involved it and ignored an effective element such as the literary communication process, which is the reader, to whom the theory of reception will give great care and attention. This article aims to shed light on the concept of reception in terms of its cognitive and philosophical foundations and in terms of its creative elements that are organized in a consistent theory, which has its pillars and pioneers. The researcher concluded that the view on the pillars of the creative process: the creator, the text, the recipient, was an integrated view. It can be said that the literary work is based on two pillars: the artistic pillar and the aesthetic pillar, the first of which is the author's text, and the second is the perception that the reader achieves. As long as the literary work cannot be reduced to the reality of the text nor to the reader's subjectivity, it is effective in itself, and derives its vitality from this activity.*

Keywords: *Cognitive foundations, creative process, reception theory, text.*

المخلص: لقد تمخض عن الانفتاح على الثقافة الغربية ثلة من المناهج النقدية على شاكلة المنهج النفسي، والاجتماعي، والبنوي التكويني أو التكويني. في حين أن منهج التلقي يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي قصد تأويله وخلق صورة معناه المتخيلة، يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على مفهوم التلقي من حيث أسسه المعرفية والفلسفية ومن حيث عناصره الإبداعية التي تنتظم في نظرية متناسقة، لها ركائزها وروادها. وخلص الباحث إلى أن النظرة إلى أركان العملية الإبداعية: المبدع، النص، المتلقي، كانت نظرة متكاملة.

الكلمات المفتاحية: نظرية التلقي، العملية الإبداعية، المبدع، النص، الأسس المعرفية.

لقد عرف النقد العربي الحديث والمعاصر مجموعة من المناهج النقدية نتيجة الانفتاح على الثقافة الغربية (ترجمة واطلاعا وتعلما) ومن أمثلة ذلك المنهج النفسي الذي يحلل النص الأدبي من الجانب الشعوري واللاشعوري والمنهج الاجتماعي الذي يعتبر الأدب على أنه مرآة تعكس الواقع بطريقة مباشرة قائمة على المحاكاة الحرفية أو الجدلية، والمنهج البنوي التكويني الذي ينظر إلى الأدب على أنه بنية جمالية مستقلة تعكس الواقع بمختلف

مستوياته السوسيو تاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية بطريقة غير مباشرة أو عبر التماثل، كما نجد المنهج البنيوي اللساني ينظر إلى النص الأدبي على أنه بنية مغلقة أو نسق من العناصر اللغوية القائمة على علاقات اختلافية أو ائتلافية.

أما فيما يتعلق بالمنهج السيميائي فيقوم على التفكيك من خلال دراسة النص باعتباره نظاما من العلامات اللغوية وغير اللغوية. في حين أن منهج التلقي يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي قصد تأويله وخلق صورة معناه المتخيلة، وفي ضوء هذا الزخم المعرفي النابع من الأنظمة المعرفية المتنوعة يمكن لنا أن نسائل مفهوم التلقي من حيث أسسه المعرفية والفلسفية ومن حيث عناصره الإبداعية التي ركز عليها رواد هذه النظرية. برزت نظرية التلقي في ألمانيا في أواسط الستينات (1966) في إطار مدرسة كونستانس (constance) وبرلين الشرقية قبل ظهور التفكيكية ومدارس ما بعد الحداثة على يد كل من فلفغانغ إيزر Wolfgang Iser وهانز روبرت ياوس Hans Robert Jaus.

وجاءت رؤية هذه النظرية ثائرة على المناهج الخارجية لكونها تركز كثيرا على المرجع الواقعي، كالنظرية الماركسية أو الواقعية الجدلية أو المناهج البيوغرافية التي اهتمت كثيرا بالمبدع وحياته وظروفه التاريخية، والمناهج النقدية التقليدية التي كان ينصب اهتمامها على المعنى وتصيده من النص باعتباره جزءا من المعرفة والحقيقة المطلقة، والمناهج البنيوية التي انكبت على النص المغلق وانطوت عليه وتجاهلت عنصرا فعلا كعملية التواصل الأدبي ألا وهو القارئ الذي ستوليه نظرية التلقي عناية واهتماما كبيرين.

إذا وقفنا مليا عند المصطلح الذي استخدم عنوانا لهذه النظرية «Reception theory» بمعنى "نظرية الاستقبال" فإننا نجد المهتمين بحركات النقد سواء أكان ذلك في الشرق أم في الغرب غير معتادين عليه كما أنه غير مألوف بالنسبة لأذنانهم. وإذا ما تفحصنا المادة اللغوية بمختلف اشتقاقاتها في العربية، وكذا في الانجليزية نستخلص أنها تنتظم معنى الاستقبال والتلقي معا، ففي العربية يقال تلقاه أي استقبله والتلقي هو الاستقبال، "وفلان يتلقى فلانا أي يستقبله"¹.

¹ لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، ط3 سنة 1994، بيروت، لبنان، ج 15 / 256 مادة (لقا).

ويقال في الإنجليزية «Reception» أي استقبال أو تلق ويقال: «Receptionist» أي متلقية تستقبل الوافدين من مكتب أو مؤسسة أو فندق «Receptive» أي متلق أو مستقبل.²

وحسب ما أشار إليه عز الدين إسماعيل في ترجمته لكتاب نظرية التلقي لروبرت هولب «Robert Holob» أن الترجمة الحرفية للمصطلح هي نظرية الاستقبال لكنه فضل استعمال كلمة تلقي لأنه وجدها أقرب إلى الدلالة المقصودة وهي تلقي القارئ للنصوص الأدبية، أما كلمة الاستقبال فلها في اللغة العربية تلقيات أخرى كما هو الحال في اللغة الإنجليزية.³

ويمكن تقديم بعض الإجراءات المنهجية المدرجة حول مسألتين:

الأولى: استراتيجية المصطلح.

الثانية: التنوع المنهجي والدلالي.

ففيما يتعلق بالمسألة الأولى ينبغي التفريق بين المصطلحات التالية:

○ نظرية الاستقبال.

○ نظرية التلقي.

المصطلحان لا يحيلان على مفهوم واحد، بل لا ينتميان إلى بيئة واحدة، فنظرية الاستقبال ولدت في النقد الأمريكي الحديث ضمن ما يعرف بـ (النقد الأنجلو- أمريكي)، ويتحدد بمجموعة من النقاد من أهمهم -جونثان كيلر، ونورمان هولندا (Norman Holland)، وديفيد بليش (Blisch)، ومايكل رفاتير (M. Riffaterre)، أما نظرية التلقي فقد ولدت في ألمانيا منبثقة بشكل مباشر عن معطيات الظاهرتية والتأويلية، ومن أهم من مثلها: (إيزر ويا وس وفيش)⁴

² ينظر قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية وتراثنا النقدي ودراسة مقارنة، محمود عباس عبد الواحد، د ط، 1996، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 16.

³ ينظر نظرية التلقي: روبرت هولب، تر: عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، 1994، ص: 31.

⁴ ينظر مناهج ما بعد النصية: نحو معرفة الآخر، محمد سالم سعد الله، رابطة أدباء الشام،

أما فيما يخص المسألة الثانية، فيجب تحديد المنطلقات المنهجية لكل ناقد في ميدان النظريتين السابقتين كي تتضح المسيرة المعرفية النقدية المنهجية لمعطيات نظريات الاستقبال والتلقي بشكل دقيق، ويمكن إيضاح ذلك كالتالي:

نظريات الاستقبال الأمريكية

جونتان كيلر	=	نظرية القدرة الأدبية
نورمان هولندا	=	نظرية هوية النص
دفيد بليش	=	نظرية الأثر النفسي في الاستقبال
مايكل ريفاتير	=	نظرية دور العلاقات في الاستقبال
نظرية التلقي الألمانية:		
فلغانغ ايزر	=	نظرية النصية وعملية التلقي
هانز روبرت ياوس	=	نظرية جمالية التلقي
ستانيلي	=	نظرية الأسلوبية التأثيرية والتواصل في عملية التلاقي

إن نظريات الاستقبال والتلقي تعد رد فعل وصدى لتلك التطورات الاجتماعية والفكرية والأدبية في أمريكا وألمانيا، وليس بين الجانبين أي رابط، ووجود التماثل بينهما سطحية، وتجريدية في المنظور النقدي العام، فإنهاصات نظرية التلقي الألمانية تتمثل بـ (الشكلانية الروسية، وبنوية مدرسة براغ، وظاهرية أنجاردن، وتأويلية جادمير، واجتماعية الأدب) أما نظريات الاستقبال الأمريكية، فإنهاصاتهما تتمثل بشكل كبير بـ (الذرائعية، والوجودية، ومعطيات تشومسكي)⁵.

وقد أسهمت معطيات نظريات الاستقبال والتلقي في تفعيل ممارسة القارئ. ففي المنظور النقدي لما بعد البنوية بشكل كبير، لاسيما في إطار نقاد مدرسة (بيبل الأمريكية) التي تبنت حيوية الطرح النقدي لهذه النظريات، موظفة إياها في معطياتها عن (نية القراءة، وسوء القراءة، والتلقي السلبي، وتعدد أوجه الاستقبال، ولا نهائية المعنى...)

تشكل المسيرة المعرفية لنظريات التلقي امتدادا للأمس الظاهرية والتأويلية من حيث الجانب الفكري والنقدي المطروح في ثنايا معطياتها، زيادة عن أثرها الكبير في تفعيل

⁵ ينظر الموقع نفسه.

الممارسات النقدية التي سارت جنبا إلى جنب مع معطيات ما بعد البنيوية على صعيد التلقي، وأوجه المعنى المختلفة⁶.

ولما كانت النظرية بالنسبة لروادها مرتبطة بمفهوم معاكس ومناهض للماركسية، جعلتهم هذه الرؤية يتعدون كل البعد عن القيود التعسفية التي تجرد الأدب من مسلماته الذاتية كالاعتماد على الصور التعبيرية والخيالية، ويعتمدون في رؤيتهم النقدية لاستقبال النص على مفهوم يشبه إلى حد كبير منهج التفسير والتحليل في اعتماده على لغة النص، وما قد نشير إليه من دلالات ورموز خاصة العلامات المجازية⁷ فالتركيز على لغة النص والاعتماد عليها بهذه الطريقة يجعل النظرية ما هي إلا امتداد متطور للنظام البنيوي الذي كان منتشرًا في ألمانيا وفرنسا.

وقد تبني إيزر آراء يابوس لبلورة مفهوم جديد يهتم بالعلاقة المتبادلة بين النص والقارئ من قدرة وما له من دور فعال وإيجابي في صياغة معنى النص وإعطائه روحا إبداعية خلاقة تضمن له الحياة والوجود إذ "من دون القارئ لن تكون هناك نصوص أدبية على الإطلاق. فالنصوص الأدبية لا توجد على رفوف الكتب: إنها سيرورات تدليل **Signification** لا تتجسد ماديا إلا في ممارسة القراءة. ولكي يحصل الأدب، فإن القارئ حيوي مثل المؤلف تماما"⁸. إن سيرورة القراءة بالنسبة لجمالية التلقي هو دوما عملية دينامية، وحركة وكشف يزدادان تعقيدا بمرور الوقت. فالعمل الأدبي لا يوجد إلا كقطع من الاتجاهات العامة، التي على القارئ أن يقوم بتحقيقها.

يحدد المنظر الألماني كلاين **Ulrich Klein** مصطلح التلقي في معجم الأدب على أنه استقبال أدبي يتم وفق أربعة عناصر هي: إعادة الإنتاج، التكييف، الاستيعاب، التقييم النقدي⁹. وهذه العناصر الأربعة تستهدف أساسا المنتج الأدبي بمختلف أشكاله وأنواعه،

⁶ ينظر الموقع نفسه.

⁷ ينظر - نظرية الاستقبال- رؤية نقدية- روبرت سي هولوب، تر: رعد عبد الجليل- 1992، دار الحوار، اللاذقية، ص74.

⁸ نظرية الأدب، تيريغلتون، تر: نائريدب، دط، 1995. وزارة الثقافة - دمشق، ص: 132.

⁹ ينظر (التأثير والتلقي)، المصطلح والموضوع، كونتر غريم، تر: أحمد المأمون، مجلة دراسات سيميائية أدبية، لسانية، عدد: 07، 1992، المغرب، ص: 20.

بإدماجه في علاقة ثقافية أوسع، الغرض منها تحليل النص تحليلاً دقيقاً من أجل فهمه وتفسيره واستيعاب معانيه الفكرية والدلالية.

ويربط إيزر التلقي بمفهوم الأثر، إذ يقول: "التلقي بالمعنى الدقيق للمصطلح يتناول الإنجاز النصي، وهو بذلك يستند بنسبة أوفر على الشهادات التي تعكس الآراء وردود الأفعال بوصفها عوامل محددة."¹⁰ ويذهب ياوس في مفهومه للقراءة أن معنى النص لا يشكل بذاته أبداً، فلا بد من عمل القارئ لإنتاج المعنى، فالنصوص الأدبية- في نظره - تحتوي دائماً على فراغات لا يملأها إلا المتلقين وفق ثقافة عصره، مما يعني أن النص قابل للتجدد والتأويل بشكل دائماً مستمر.¹¹ في حين يرى ياوس بأن التلقي هو عمليات إنجاز تعليمات معنية من خلال عملية إدراك موجه يمكن استيعابها من خلال فهم البواعث التي تكمن خلفها الإرشادات التي تحركها.¹²

ومع البحث في علاقة القارئ بالنص عند أمبرتو إيكو وأثرها في حركة التأويل، أصبح القارئ على عكس الناقد يرفض أن يتقيد بمعايير ومنطلقات موضوعية خالصة يمكن أن توجه عمله حسب مثال معين، ويسعى دائماً إلى إنتاج شيء آخر ينطلق من النص ولا يختلط به أو يماثله، بل يشكل احتمالاً وتجربة فريدة يمكن أن تكون أيضاً نقطة لقراءات جديدة. ثم جاء بارت فاعتبر القارئ طرازاً نصياً أو جماعاً من النصوص والسنن اللامتناهية.¹³

والمتفحص لآراء ياوس التي دارت حول عملية التلقي يلاحظ أن المرجعية المعرفية التي اتكأ عليها هذا الناقد لبناء نموذج النظري تتحدد في شبكة من التيارات والمذاهب الفلسفية الغربية، التي كانت دوماً تشكل المحيط الفكري والثقافي داخل الفضاء الألماني وخارجه.¹⁴ وهذا الطرح يؤكد جان ستارروباسكي إذ يعتبر أن أهم المحيطات التي أخذ واستقى منها

¹⁰ Wg. Iser, l'acte de la lecture. Ed pierre Mardaga, Bruxelles- 1976, 5

¹¹ ينظر النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، تر: جابر عصفور، دط: 1998، دارقبا، القاهرة، ص: 168.

¹² ينظر التلقي في الخطاب المسرحي، باسم الأعسم، مجلة البحرين الثقافية، عدد: 25، 2000، ص: 134.

¹³ ينظر سيميولوجيا القراءة، م. أوتن، تر: طه الرواينية، مجلة الحداثة، عدد: 04، 1996، معهد اللغة العربية وآدابها، ص: 228.

¹⁴ ينظر جماليات التلقي، إشكالية التأصيل، بن نكاع بن ذهبية، كتابات معاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، العدد: 63، مح: 16، 2007، ص: 126

رؤيته تتمظهر في: الظاهرتية عند كل من بول ريكور وانجاردن Ingarden وهوسرل Husserl والفكر الهيدغيري في امتداداته الهيرمينوطيقية عن طريق غادمير والماركسية من خلال بنجامين W. Benjamin ولوكاتش Gluka وغولدمان L. Goldmann ومختلف البنيويات مثل نماذج كل من ليفي ستواوس Lévi-Strauss ورولان بارت Roland Barthes ومدرسة النقد الجديد¹⁵ New Criticism.

وفضلا عن هذه المرجعيات الفكرية والثقافية المتعددة الجوانب التي اتكأ عليها ياوس في نظريته الجديدة فقد استلهم أيضا مفهوم التوقعات¹⁶ من غادامير وأقام عليه أساس نظرية جمالية التلقي حيث يكون العمل الأدبي مشتملا في وقت واحد على النص بوصفه بنية معطيات وعلى تلقيه وإدراكه من قبل القارئ أو المشاهد، ويتشكل معنى النص في تجدد الدائم نتيجة تطابق واتحاد عنصرين في نظره: أفق التوقع المفترض في العمل أو أفق التجربة المفترض في المتلقي¹⁷. الذي يحقق إنجاز بنية العمل، وفي كل مرة تتغير شروط التلقي التاريخية والاجتماعية، بتغير المعنى باعتبار أن ناتج التلقي مرتبط بظروف متغيرة دوما حسب الزمان والمكان.

أما فيما يتعلق بإيزر فقد ساهم هو الآخر بشكل ملفت للانتباه في تدعيم أسس جمالية التلقي من خلال جنوحه إلى النقد النصي في ضوء مقولة النسق المفتوح، اعتمادا على مقارنة اللسانيات النصية Linguistique textuelle على اختلاف مشاربها، ممثلة في نظرية الفعل الكلامي Théorie de l'acte de parole، ونظرية التواصل Théorie de la communication والنظرية الشعرية Poétique والأسلوبية البنيوية Stylistique.

¹⁵ CF- Hans Robert, Yauss/ pour une esthétique de la réception. Ed. Gallimard. Paris, 1978, P10.

¹⁶ أفق التوقعات Horizon d'attente مفهوم جمالي يلعب دورا مؤثرا في عملية بناء العمل الفني والأدبي، وفي توعية الاستقبال التي يلقاها العمل انطلاقا من فكرة أن المتلقي يقبل على العمل وهو يتوقع شيئا منه.

¹⁷ ينظر التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفني)، شاكر عبد الحميد، مجلة عالم المعرفة، العدد: 267، 2001، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ص: 349.

structurale ونظرية تشومسكي N. Chomsky زيادة إلى ذلك إلى الوجودية Existentialisme والظواهراتية Phénoménologie ونظرية علم النفس الحديثة¹⁸.

ولعل من الأسباب التي جعلت إيزر يحظى باهتمام كبير فاق زميله ياوس في أمريكا هو اعتماده على هذه الحصيلة المعرفية، وبناء على هذا فقد اتسم عمل إيزر بهذا الزخم من المصطلحات والمفاهيم المستمدة من مجموعة من الحقول المعرفية، كان يكتفيها تماشياً مع نموذج الظاهري المتعالي (Transcendental)¹⁹ وقد كان من ضمن هذه المصطلحات المستعارة مصطلح (القارئ الضمني) الذي نسخته من مفهوم واين بوت Wayne Booth عن المؤلف الضمني Implied author، ومصطلحاً (الموضوع والأفق) اللذان استعارهما من نظرية ألفريد شوتس Alfred Schutz، وكذلك مصطلحاً (التوقع والذاكرة) المستعران من ظواهرية هوسرل وبالضبط من خلال إشارته للتوقعات المحولة²⁰.

إن دراسة أركان العملية الإبداعية لا تعتمد على المبدع والنص والمتلقي فحسب وإنما تتجاوز كل ذلك إلى معالجة طبيعة العلاقة والتفاعل بين وظيفة المبدع والمتلقي وعلاقتهم بالنص.

ومن الميزات التي تتجلى في المبدع أنه ذو معرفة وقدرة لغوية يتمكن بواسطتها استخدام النص في ضوء فكره ومشاعره، ومن جهة أخرى يقدر على نقل المتلقي إلى تجربته ومشاركته في أحاسيسه ومشاعره. ولكي يحقق أهدافه فمن الضروري أن يراعي الإحساس اللغوي عند المتلقي لا لشيء إلا لكون المتلقي المتفاعل مع تجربة المبدع ومشاعره هو قارئ وناقد، بل هو في الأصل أبعد من ذلك فهو مشارك في خلق النص وإبداعه أو في صنع المعنى وإيجاده، وهذه الرؤية يؤكدتها تيس اليوت بقوله: "إن القصيدة تقع في مكان بين الكاتب والقارئ"²¹، وبهذا الشكل تتداخل العناصر الثلاثة في تجلي المعنى وإيضاحه وتتمثل هذه العناصر في:

¹⁸ ينظر نظرية التلقي، روبرت هولب، تر: د/ عز الدين اسماعيل، ط1، 1997، النادي

الثقافي- جده، ص:235. وكذلك W.G. Iser/L'acte de la lecture 1976. P365

¹⁹ ينظر مصطلحات ومفاهيم نظرية التلقي من منظور الترجمات الراهنة، بلقندوز الهواري، رسالة ماجستير -كلية اللغات والفنون -جامعة وهران ص 51.

²⁰ ينظر نظرية التلقي، روبرت هولب ص 204

²¹ المدخل في النقد الأدبي، نجيب فايق أندراوس، دط، 1977 م، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص

المبدع

حظيت علاقة المبدع بالنص عناية النقاد واهتمامهم، فأدركوا ما يكون للنظم وتنسيق الكلام من أهمية لدى المبدع؛ لأن ذلك يساعد المتلقي على إدراك المعاني وما يرمي إليه المبدع من أغراض في النص؛ لأن هدف المبدع هو صناعة النص الأدبي وتوصيله إلى المتلقي ليشاركه في تجربته وهمومه، وبدون ذلك لا يقدر المبدع أو النص الوصول إلى تحقيق غايته.

تناولت نظرية التلقي العلاقة بين المبدع والمتلقي، وهذه العلاقة تتمظهر في مشاركتها معا في إبداع النص وخلقها؛ لأن المبدع يسعى أن يوقظ استجابات معينة من خلال النص في المتلقي، وجعله يتفاعل معها²² ومما لا مجال للشك فيه أن اللغة التي يدبج بها النص تقع في مكان وسط بين المبدع والمتلقي، ولذا ينبغي أن يتكيف النص مع البعد الاجتماعي لكي يتمكن المبدع من إيصال رسالته إلى المتلقي.

ويرتبط المبدع بنصه ارتباطا وثيقا، دوره في العمل شبيه بدور القارئ في عملية التلقي والاستيعاب، إن الحديث عن المبدع من منظور جمالية التلقي يثير فكرة علاقته مع النص ومع قارئه، فهو يشمل الاثنين معا، "فالمؤلف هو تأسيس النص ضمن وعي القارئ".²³

النص

النص هو عمل أدبي من النوع الممتاز الرفيع،²⁴ ويمكن القول بأنه نسيج يتمتع بسبك محكم وبناء متماسك²⁵ يقوم بإبداعه وخلقها مبدع قصد توجيهه إلى متلقين كي يقرؤوه ويتفاعلوا معه سواء أكان ذلك سلبا أم إيجابا، أو بتعبير آخر يشاركون المبدع من خلال قراءتهم ونقدهم وتدووقهم في عملية إبداع النص وخلقها. وحتى يتمكن النص من التأثير في المتلقي، فلا بد من

²² ينظر الإبداع في الفن والعلم، حسن أحمد عيسى، سلسلة عالم المعرفة، رقم 24، 1979، الكويت ص 124.

²³ Wolfgang Iser. L'acte de la lecture. Théorie de l'effet esthétique. Trad Evelyne Sznycer Bruxelles. Ed. Pierre Margada. 1976. P 121.

²⁴ ينظر النص والتأويل، بول ريكور، ترجمة: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 3، (1988م)، مركز الإنماء القومي، بيروت ص 37.

²⁵ ينظر نظرية النص، رولان بارت، تر: محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 3، (1988م)، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص 89.

أن يراعي المبدع صياغته فيديج بلغة أدبية جيدة تعبر عن جمال فني يجعله مختلفا عن الكلام العادي²⁶.

وتعرضنا لهذه القضية، يدفعنا إلى إبراز جملة من الصفات التي يجب أن يتحلى بها القارئ وفق منظور نظرية التلقي، فهي تراه ذلك الشخص القادر، الحر، الفعال، الجريء، المكتشف، المجد، والموجد لمعنى مضمّر داخل النص، فهو يتفاعل ويتعامل معه، لإحداث متعة جمالية، فيقوم الخيال الواسع بتذوقه، ولهذا السبب نجد إيزر يتحدث عن نص تخيلي، وهو ذلك النص الذي يعكس قدرة القارئ على التخيل ومعرفته للمشاهد والأحداث التي تدور به ليملاً البياضات ويكملها أثناء العملية التأويلية التي من شأنها إدخاله في صراع مع المعنى الأصلي، فيصبح النص بذلك تجربة القارئ الخاصة، إنه يحيهاها من أحداث الواقع الجمالي، وهو هدف يرمي إلى تحقيقه أصحاب هذه النظرية.

بيد أنه من اللازم أن نشير وننوه بدور القارئ في إثبات وجود هذا النص لا لشيء إلا باعتبار الشخص الذي يُوجد النص ويساهم في تأسيسه وليس العكس، "فالنص هو افتراض بسيط ليس باستطاعته إيجاد راهنه إلا بفضل الفاعل"²⁷.

نوعية النص

النصوص أنواع متعددة، ويختلف ترتيبها وتصنيفها نظرا لاختلاف وجهات النظر. فإذا اعتبرت اللسانيات التطبيقية النص مجرد تسلسل للجمل لا غير عبارة عن متاليات تؤدي معنى لا يمكن فهمه، فإن النقد ينظر إليه لكونه كائنا حيا قابلا للتطور باستمرار، يمكن النظر فيه بغية كشفه وتحديد هدفه الوظيفي فهذه مثلا الباحثة كاتارينا راييس توزع فئات النصوص على الشكل التالي:

- الفئة الإخبارية: هي نصوص عادية تمتاز بدقتها، تندرج تحتها النصوص المدرسية والتقارير العلمية ومقدمات الكتب.
- الفئة التعبيرية: وتشمل النصوص الأدبية الموجهة إلى المتلقي قصد التأثير فيه.
- الفئة التواصلية: وتضم النصوص الإشارية والدعائية، يكون الهدف منها الإقناع.

²⁶ ينظر دائرة الإبداع، شكرى عياد، دط 1986، دار إيلياس المصرية، القاهرة، ص 124.

²⁷ فلفغنتع إيزر. ص 49.

نلاحظ من هذا التوزيع أن الباحثة كاترينا رايس قد قسمت النصوص إلى ثلاثة أنواع، وقد حددت بدقة وظيفة كل نوع منها، ويمكن الإشارة إلى أن هذه الأنماط ليست محددة تمام التحديد، بل قد تتشابك أحيانا وتتداخل فيما بينها. يستمد كل نمط منها عناصر معينة من الأنماط الأخرى، ولعل هذا ما اقترحه "نيدا" Eugène Nida من تقسيمات لا تختلف كثيرا عن تقسيمات كاترينا إذ يذكر منها: "النصوص التعبيرية والإدراكية والإخبارية والطلبية قصد التأثير في سلوك المتلقي والأدائية للتأثير في الوضع الاجتماعي للقارئ والانفعالية لاستثارة انفعال المتلقي وتخطبية من أجل إقامة علاقة تواصلية مع الآخرين"²⁸

المتلقي

لقد اهتمت نظرية التلقي اهتماما كبيرا بالقارئ وبالشروط التي تتم بها قراءته للنص، فركزت على أفق انتظاره، وقوة إدراكه، وقوته التفاعلية، فللقارئ أهمية كبيرة في عملية القراءة، فهو الذي يحيي العمل الأدبي، فقراءته له تمنحه التجدد المستمر مع مرور الزمن. وهكذا فالنص يشكل سلسلة من التلقيات تدل على الطابع التاريخي للقارئ، بحيث يمكننا الحديث عن سلسلة من القراء يؤولونه ويفسرونه باستمرار، فهم بذلك يضيفون للنص مفاهيم تنوع بتنوع زمانهم ومكانهم، وهذا ما يسميه أصحاب نظرية التلقي "بالتاريخ الأدبي"²⁹.

بالإضافة إلى ذلك فإن التلقي ذاته هو تحقيق لذاتية المتلقي؛ لأنه يستدعي مهارات وإدراكات للنص، محدثا بذلك رد فعل إيجابي يعكس شعوره الداخلي، ويسمح له بممارسة خياله الواسع.

وقد يسمى هذا القارئ "بالقارئ الضمني" فهو "حالة نصية وعملية إنتاج المعنى، جذوره مغروسة بصورة راسخة في بنية النص"³⁰، فيعمل على تحديد المعنى، فهو المصدر النهائي له، وقراءته للنص يجب أن تحدث تفاعلا يعكس قدرة القارئ على الفهم والتأويل إذ

²⁸ الترجمة والتواصل، دراسات تحليلية عملية إشكالية المصطلح ودور المترجم. دط، 2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 21.

²⁹ نظرية التلقي، روبرت هولب، م س، ص 102-103.

³⁰ المرجع السابق ص 205.

إنه يجمع أشتات النص ويركبه تركيبا ليحدث فيما بعد ردود فعل تساعده على تحقيق المعنى الفعلي.

التفاعل بين النص والقارئ

يمكن القول إن العمل الأدبي قائم على ركنين: الركن الفني والركن الجمالي، أولهما هو نص المؤلف وثانها هو الإدراك الذي يحققه القارئ، وفي ضوء ذلك يتبين لنا أن العمل نفسه غير مطابق لا للنص ولا لتحقيقه، وعليه فمن الضروري أن يكون واقعا في مكان بينهما. وما دام أنه لا يمكن اختزال العمل الأدبي في واقع النص ولا في ذاتية القارئ فهو فاعلي في ذاته، ويستمد حيويته من هذه الفاعلية، وعند مرور القارئ بمختلف الأبعاد التي قد يعطيها النص، ويقوم بربط الآراء المختلفة بعضها ببعض فإنه بذلك يجعل العمل يتحرك كما يجعل نفسه تتحرك أيضا. وهكذا يحدث تفاعل مستمر وحيوي بين النص والقارئ، يتمخض عنه إنتاج للمعنى، والمعنى هنا ليس القصد منه ما يريد الكاتب تبليغه في النص، بل هو أيضا ما يضيفه القارئ ويثري به النص، وهذا لا يدل على أن معنى النص يعكس ذاتية القارئ فقط، بل " إن العمل الأدبي ليس نصا بالكامل، كما أنه ليس ذاتية القارئ ولكنه تركيب والتحام بين الاثنين"³¹

إنه من الصعوبة وصف هذا التفاعل؛ لأن النقد الأدبي لا يتوافر إلا على الشيء القليل جدا من ناحية الخطوط الموجهة، وإن الشريكين في عملية التواصل، أي النص والقارئ يعتبران أكثر سهولة في التحليل من الحدث الذي يحصل بينهما.

ورغم كل ذلك فهناك ظروف واضحة تسيطر على التفاعل بصفة عامة، ومنها ما يطبق على العلاقة الخاصة بين القارئ والنص، ويستعمل إيزر نتائج مدرسة تافستوك كنمط لكي يرتكز على المشكل.³²

ونخلص إلى أن النظرة إلى أركان العملية الإبداعية: المبدع، النص، المتلقي، كانت نظرة متكاملة، فالتناول لأي ركن من هذه الأركان لم يكن بمنأى عن الجوانب الأخرى، وهذا ما يفسر تداخلهما وتشابكهما.

³¹ نظرية التلقي، روبرت هولب، م.س.ص 102-103

³² ينظر التفاعل بين النص والقارئ فلفغانغ إيزر، تر: الجيلالي الكدية، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد 7، 1992 فاس. المغرب. ص 7.

قائمة المصادر والمراجع

- [1] الإبداع في الفن والعلم، حسن أحمد عيسى، سلسلة عالم المعرفة، رقم 24، 1979، الكويت.
- [2] (التأثير والتلقي)، المصطلح والموضوع، كونتر غريم، تر: أحمد المأمون، مجلة دراسات سيميائية أدبية، لسانية، عدد: 07، 1992، المغرب.
- [3] الترجمة والتواصل، دراسات تحليلية عملية إشكالية المصطلح ودور المترجم. دط، 2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- [4] التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفني)، شاكر عبد الحميد، مجلة عالم المعرفة، العدد: 267، 2001، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.
- [5] التلقي في الخطاب المسرحي، باسم الأعسم، مجلة البحرين الثقافية، عدد: 25، 2000.
- [6] جماليات التلقي، إشكالية التأصيل، بن نكاع بن ذهبية، كتابات معاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، العدد: 63، مح: 16، 2007.
- [7] دائرة الإبداع، شكرى عياد، دط 1986، دار إلياس المصرية، القاهرة، ص 124.
- [8] قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية وتراثنا النقدي ودراسة مقارنة، محمود عباس عبد الواحد، د ط، 1996، دار الفكر العربي، القاهرة.
- [9] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، ط3 سنة 1994، بيروت، لبنان.
- [10] المدخل في النقد الأدبي، نجيب فايق أندراوس، دط، 1977 م، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- [11] مصطلحات ومفاهيم نظرية التلقي من منظور الترجمات الراهنة، بلقندوز الهواري، رسالة ماجستير - كلية اللغات والفنون - جامعة وهران.
- [12] مناهج ما بعد النصية: نحو معرفة الآخر، محمد سالم سعد الله، رابطة أدباء الشام، www.odabasham.net
- [13] النص والتأويل، بول ريكور، ترجمة: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 3، (1988م)، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- [14] نظرية التلقي: روبرت هولب، تر: عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، 1994.
- [15] نظرية الاستقبال - رؤية نقدية - روبرت سي هولوب، تر: رعد عبد الجليل - 1992، دار الحوار، اللاذقية.
- [16] نظرية الأدب، تيري إيغلتن، تر: نائير ديب، دط، 1995. وزارة الثقافة - دمشق.
- [17] النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، تر: جابر عصفور، دط: 1998، دار قباء، القاهرة.
- [18] سيميولوجيا القراءة، م. أوتن، تر: طه الرواينية، مجلة الحداثة، عدد: 04، 1996، معهد اللغة العربية وأدابها.

- [19] نظرية التلقي، روبرت هولب، تر: د/ عز الدين اسماعيل، ط1، 1997، النادي الثقافي- جده، ص:235. وكذلك W.G. Iser/L'acte de la lecture 1976. P365.
- [20] نظرية النص، رولان بارت، تر: محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العلمي، العدد3، (1988م)، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- [21] يوري لوتمان سيميوطيقا السينما تر نصر أبو زيد مدخل إلى السيميوطيقا مترجمة سيزا قاسم دار اليأس العصرية القاهرة 86.
- [22] Hans Robert, J. (1978). *Pour une esthétique de la réception*. Ed. Gallimard. Paris.
- [23] Wolfgang, I. (1976). *L'acte de la lecture. Théorie de l'effet esthétique*. Trad Evelyne Sznyeer Bruxelles. Ed. Pierre Margada.
- [24] ----- (1976). *L'acte de la lecture*. Ed pierre Mardaga, Bruxelles- 5.